ذكر الدليل على ذم الذين يدخلون على الحكام بكلام حسن طيب، ويخرجون منهم بكلام قبيح خبيث

لَا رَيْبَ أَنّ ابْتَعَادَ المَرْءِ عَنْ مَوَاطِنِ الفِتَنِ مِنْ كَمَالَ الدِّيَانَةِ.

لَكِنّ أَهْلَ النِّفَاقِ وَالمُجَامَلَةِ والمُدَاهَنَةِ أَبَوْا إِلّا الدُّخُولَ فِي الفِتَنِ... وَهُمْ بذَلِكَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً والعِيَاذُ، باللهِ.

واللهُ تَعَالَى بَيَّنَ خُسرَانَ أَمْثَالِ هُؤُلَاءِ، وَإِنْ عَمِلُوا بِزَعْمِهِمْ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ والدَّعْوَةِ إِلى اللهِ وَنَصْرِ المَظْلُومِ وَمُسَاعَدَةِ المُسْلِمِينَ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وهَذَا فِيهِ التَّرْهِيبُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ ذِي الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي الأُمَرَاءَ بِوَجْهٍ، وَيَخْرُجُ مِنْهُمْ بِوَجْهٍ آخَر.

فَهُؤُلَاءِ جَمَعُوا سَوْأَتَيْنِ:

الأُولَى: الدُّخُولُ عَلَى الحُكّامِ عَلَى وَجْهٍ يَسْخَطُهُ اللهُ وَيَمْقُتُهُ.

الثَّانِيَةُ: النِّفَاقُ حَيْثُ أَظْهَرُوا مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ أَمَامَ الحُكّامِ، فَلَمَّا غَابُوا عَنْهُمْ أَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ غِشٍّ وَسَبٍّ وَطَعْنٍ وَغِيبَةٍ وحِقْدٍ وَبِغْضٍ لَهُمْ... فَكَأَنَّهُمْ نَادَوْا عَلَى أَنْفُسِهِم، نَحْنُ مُنافِقُونَ، نَحْنُ نَأْتِي الحُكَّامَ بِوَجْهٍ، وَنَخْرجُ مِنْهُمْ بِوَجْهٍ آخَرَ، فَذَمُّوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ

حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ[1].

وَإِلَيْكَ الدَّلِيلَ:

١ ـ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩].

٢ ـ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: **(قَالَ أُنَاسٌ لابْنِ عُمَرَ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا، فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنا مِنْ عِنْدِهِمْ؟! قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقاً)**[2].

وَبَوَّبَ عَلَيْهِ الإِمَامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِهِ» (ج١٣، ص١٧٠): بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ ثَنَاءِ السُّلْطَانِ، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَرَوَاهُ أَبُو الشَّعْثَاءِ بِلَفْظِ: **(دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، فَوَقَعُوا فِي يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَتَنَاوَلُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ: هَذَا قَوْلُكُمْ لَهُمْ عِنْدِي، أَتَقُولُونَ هَذَا فِي وُجُوهِهِمْ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ نَمْدَحُهُمْ، وَنُثْنِي عَلَيْهِمْ**[3]،

---

(١) وكذلك هؤلاء لضعفهم في الدين يفتتنون بإكرام الحكام لهم، اللهم غفراً.
وكان السلف يخافون ذلك: عن علي بن عثام قال: قال سفيان الثوري: (أتروني أخاف أن يضربوني إن أتيتهم، ولكني أخاف أن يكرموني فيفتنوني).
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج٧ ص٥١)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، بإسناد حسن. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (ج٧ ص٤٠)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، من وجه آخر.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج١٣ ص١٧٠)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. من طريق أبي نعيم حدثنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه به.

(٣) وهذا الأمر عليه دعاة السياسة من الذين تشبهوا بالشيوخ وليسوا منهم فإنهم إذا دخلوا على المسؤولين مدحوهم وأثنوا عليهم، وإذا خرجوا من عندهم تناولوهم بالطعن والمكر والسب.
قلت: فإن هذا هو النفاق، والعياذ بالله.

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: هَذَا النِّفَاقُ عِنْدَنَا)[1].

وَفِي لَفْظٍ: (كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ النِّفَاقَ).

قُلْتُ: وَهَذَا فِيهِ التَّرْهِيبُ الشَّدِيدُ في حَقِّ ذِي الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي الأُمَرَاءَ بِوَجْهٍ، وَيَخْرُجُ، مِنْهُمْ بِوَجْهٍ آخَرَ، وَهذَا مَذْهَبُ الخَوَارِجِ القَعَدَةِ الذين تَشَبَّهُوا بالشيوخ وليسوا منهم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقول: **«مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ»**[2].

وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ التَّرْهِيبُ الشَّدِيدُ عَلَى سَبِيلِ العُمُومِ فِي حَقِّ ذِي الوَجْهَيْنِ، مِنْهُ الَّذِي يَأْتِي الأُمَرَاءَ بِوَجْهٍ يَسْخَطُهُ الله وَيَمْقُتُهُ كـ (النِّفَاقِ

---

(١) **حديث صحيح.**
أخرجه الفريابي في «صفة المنافقين» (ص٦٦)، ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت. وابن أبي الدنيا في «الصمت» (ص٣٧٤)، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى. وأحمد في «المسند» (ج٢ ص١٠٥)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص١٢٦)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، وابن عساكر في «ذم ذي الوجهين واللسانين» (ص١٥)، ط. دار الفكر، دمشق، من طريق الأعمش عن إبراهيم عن أبي الشعثاء به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج١٠ ص٤٧٤)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. ومسلم في «صحيحه» (ج٤ ص١٩٥٨)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى. وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص١٥٦)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، وابن عساكر في «ذم ذي الوجهين واللسانين» (ص٣٤)، ط. دار الفكر، بيروت، من طرق عن أبي هريرة به.

والمُدَاهَنَةِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُ مِنْهُمْ بِوَجْهٍ آخَرَ أَمَامَ أَشْيَاعِهِ مِنْ غِيبَةٍ وَخِيَانَةٍ وَسَبٍّ وَطَعْنٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا سَوْأَتَيْنِ:

الأُولَى: الدُّخُولُ عَلَى الأُمَرَاءِ عَلَى وَجْهٍ يَسْخَطُهُ الشَّرْعُ، وَيَمقِتُهُ العُرْفُ.

الثَّانِيَةُ: والنِّفَاقُ حَيْثُ أَظْهَرُوا مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ أَمَامَ الأُمَرَاءِ، فَلَمَّا غَابُوا عَنْهُمْ أَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ بُغْضٍ وَغَيْرِهِ، فَكَأَنَّهُمْ نَادَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بالنِّفَاقِ، والعِيَاذُ بالله.

وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ حَثٌّ عَلَى مُجَانَبَةِ ذِي الوَجْهَيْنِ، وَتَبْيين شَرِّهِ لأَنَّهُ ظَالِمٌ لنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، واللهُ المُسْتَعَانُ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (إِنَّمَا كَانَ ذُو الوَجْهَيْنِ شَرَّ النَّاسِ لأَنَّ حَالَهُ حَالُ المُنَافِقِ إِذْ هُوَ مُتَمَلِّقٌ بالبَاطِلِ، والكَذِبِ مُدْخِلٌ للفَسَادِ بَيْنِ النَّاسِ)[1]. اهـ.

قُلْتُ: وَالوَيْلُ لِهَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضاً فِي البَاطِلِ)**[2].

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر (ج١٠ ص٤٧٥)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

(٢) **أثر صحيح.**
أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٣٣)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، وهناد في «الزهد» (ج٢ ص٥٤١)، ط. دار الخلفاء، الكويت، ط. الثانية. =

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: قَالَ لِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيّ: **(إِذَا رَأَيْتَ القَارِئَ يَلُوذُ بالسُّلطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌّ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ يَلُوذُ بالأَغْنِيَاءِ فاعْلَمْ أَنَّهُ مُرَائِي، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ فَيُقَالُ لَكَ: تَرُدُّ مَظْلَمَةً، أَوْ تَدْفَعُ عَنْ مَظْلُومٍ، فإنَّ ذَلِكَ خُدْعَةُ إِبلِيسَ اتَّخَذَهَا فُجّارُ القُرّاءِ سُلّماً)**[1].

وَقَالَ سُلَيْمَانُ الخَوَّاصُ: **(لَوْ دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الوُلَاةَ، لَمْ أُحِبّ أَنْ أَطَأَ بِسَاطَهُ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَلِيته قَلْبِي بِوَطْءِ بِسَاطِهِ)**[2].

فَهَذا مِثَالٌ يَشْرحُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ العِلْمِ الصَّالِحُونَ مِنْ نِيَّةٍ صَالِحَةٍ حَالَ الدُّخُولِ عَلَى الأُمَرَاءِ.

وَأَمَّا دُخُولُ أَهْلِ التَخَرُّبِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الأُمَرَاءِ بِنِيَّةٍ فَاسِدَةٍ مِنْ تَصْدِيقِهِمْ عَلَى كَذِبِهِمْ أَوْ إِعَانَتِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَوْ إِفْتَائِهِمْ بالبَاطِلِ أَوْ غَشِّهِم لِيُصِيبُوا مِنْ دِنْيَاهُمْ شَيْئاً.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ نَوْفَلٍ قَال: قِيلَ لِعَلْقَمَةَ: لَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ ـ يَعْنِي الأُمَرَاءَ ـ فَيَعْرِفُونَ لَكَ شَرَفَكَ وَتَشْفَعُ؟ قَالَ: **(إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنْتَقِصُوا مِنِّي أَكْثَرَ مِمّا أَنْتَقِصُ مِنْهُمْ)**[3].

= والطبراني في «المعجم الكبير» (ج٩ ص١٠٨)، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة. بإسناد صحيح.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج١٦ ص٤٥٠)، ط. الدار السلفية، الهند، ط. الأولى. والمَرُّوذِي في «أخبار الشيوخ» (ص١٢٨)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى. وأبو نعيم في «الحلية» (ج٦ ص٣٨٧)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت. بإسناد حسن.

(٢) أخرجه المَرُّوذِيّ في «أخبار الشيوخ» (ص١٥٥)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى. بإسناد حسن.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (ج٦ ص٨٨). ط. دار صادر، =

قُلْتُ: وَلَا يَخْتَلِفُ العُلَماءُ عَلَى ذَمِّ مَنْ دَخَلَ عَلَى السَّلَاطِينِ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، مُزَيِّنٌ لَهُمْ البَاطِلَ، مُعِينٌ للظَّالِم مِنْهُم عَلَى ظُلْمِهِ، غَيْرُ نَاصِحٍ لَهُمْ، غَيْرُ آمرٍ بمَعْرُوفٍ أَوْ نَاهٍ عَنْ مُنْكَرٍ.

وَكَذٰلِكَ تَنْبِيهٍ لِلدَّاخِلِ عَلَى وُجُوبِ الاحْتِيَاطِ لِدِينِهِ وَلِنَفْسِهِ، فَيُعَالِجُ نِيَّتَهُ، وَيَنْظُرُ فِي الصَّالِحِ: أَدُخُولُهُ أَمْ بُعْدُهُ إِذْ الفِتْنَةُ مِنْهُ قَرِيبَةٌ[1].

قُلْتُ: وَمَا ضَلَّ قَوْمٌ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ والبَاطِلَ والخِصَامَ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخُذْلَانِ.

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: (فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَى العِلْمِ، وَلَيْسَ العِلْمُ صُوَراً لأَلفَاظٍ إِنَّمَا المَقْصُودُ فَهْمُ المُرَادِ مِنْهُ، وَذَلِكَ يُورِثُ الخَشْيَةَ، والخَوْفَ، وَيَرَى المِنَّةَ للمُنْعِمِ بالعِلْمِ، وقُوة الحُجةِ عَلَى المُتَعَلِمِ نَعُوذُ باللهِ مِنْ سَبِيلِ رُعَاعٍ يَتَسمونَ بالعُلَمَاءِ، لَا يَنَهاهُمْ مَا يَحْمِلُونَ، وَيَعْلَمُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ، وَيَتَكَبَّرونَ عَلَى النَّاسِ بِما لَا يَعْلَمُونَ، غَلَبَتْهمُ طِبَاعُهُم وَمَا رَاضَتْهم عُلومُهُم الَّتي يَدْرُسُونَ)[2]. اهـ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَائِشَةَ رَحِمَهُ اللهُ: **(لَا تَكُنْ ذَا وَجْهَيْنِ، وَذَا لِسَانَيْنِ، تُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّكَ تَحُبُّ اللهَ وَيَحْمِدُونَكَ، وَقَلْبُكَ فَاجِرٌ)**[3].

= بيروت. والمروذي في «أخبار الشيوخ» (ص٤٧)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى. بإسناد صحيح.

وذكره الذهبي في «السير» (ج٤ ص٥٨)، ط.مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثامنة.

(١) وانظر: «الآداب الشرعية» (ج٣ ص٤٥٨ و٤٥٩)، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٢) «صيد الخاطر» (ص٥١٤)، ط. دار الفكر، دمشق.

(٣) **أثر صحيح.** =

وَقَالَ السَّرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**احْذَرْ أَنْ لَا يَكُونَ لَكَ ثَنَاءٌ مَنْشُورٌ، وَعَيْبٌ مَسْتُورٌ**)[1]. قُلْتُ: فَلَا تَكُنْ للحَاكِمِ وَلِيّاً فِي الظَّاهِرِ، وَعَدُوَّهُ فِي البَاطِنِ، لأنَّ اللهَ مُخْرِجٌ ذَلِكَ وَلَا بُدَّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وَهَؤُلَاءِ لَا يُبَالِي اللهُ بِهِمْ لِمَا يَحْمِلُونَ مِنْ بَاطِلٍ. عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ ـ يَعْنِي حُثَالَةٌ ـ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَهُ**»[2].

فَهَذَا الحَدِيثُ بَيَّنَ ذَهَابَ الصَّالِحِينَ وَالأَخيَارِ مِنْهُمْ أَوَّلاً فَأَوَّلَ،

= أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج١٢ ص٢٧٥)، ط. الدار السلفية، الهند، ط. الأولى من طريق هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثني محمد بن أبي عائشة به.

(١) **أثر صحيح.**
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج١٢ ص٢٧٥)، ط. الدار السلفية، الهند، ط. الأولى وأبو نعيم في «الحلية» (ج١٠ ص١١٩)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الرابعة من طريق جعفر بن محمد حدثني الجنيد بن محمد قال: سمعت السري بن مغلس به. قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج١١ ص٥١)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. وابن حبان في «صحيحه» (ج٨ ص٣٠٠)، وأحمد في «المسند» (ج٤ ص١٩٣)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت من طريقين عن قيس بن أبي حازم عن مرداس به.

حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا الأَرَاذِلُ - كـ(الحِزْبِيِّينَ) - وَيَقِلُّ العِلمُ - كَمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ - وَيَظْهَرُ الجَهْلُ، وَهَذِهِ أَعْظَمُ نَكْبَةٍ يُصَابُ بِهَا النَّاسُ، أَلَا وَهِيَ انْقِرَاضُ العُلَمَاءِ أَوْ قِلَّتُهُمْ، وَقَبْضُ العِلْمِ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ - عَلَى أَنَّه عِلْمٌ - فِي النَّاسِ، وَيَصِلُ بِهِمُ الحَالُ إِلى حَدٍّ أَنَّهُ يَتَّخِذُونَ الجُهَّالَ[1] فِي العِلْمِ الشَّرْعِي رُؤَسَاءَ لَهُمْ يُفْسِدُونَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخذْلَانِ.

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (قَوْلُهُ: (لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَهُ): أي لَا يَرْفَعُ لَهُمْ قَدْراً، وَلَا يُقِيمُ لَهُمْ وَزْناً)[2].اهـ.

قُلْتُ: وَهَؤُلَاءِ قُرَّاءٌ لَيْسَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ يُمَيِّزُونَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.

وَإِلَيكَ الدَّلِيل:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»**[3].

---

(١) كـ(القصاصين والمتعالمين والحزبيين) وغيرهم.

(٢) «شرح السنة» (ح١٤ ص٣٩٣)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى.

(٣) **حديث صحيح.**

أخرجه البخاري «في خلق أفعال العباد» (ص١٩٤)، ط. الدار السلفية، الكويت، ط. الأولى، والفريابي في «صفة النفاق» (ص٥٦)، ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط. الأولى. وأبو نعيم في «صفة النفاق، ونعت المنافقين» (ص١٦٧)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى من طريق عبد الرحمن بن شُرَيْح المُعَافري حدثنا شَرَاحِيل عن محمد بن هُدَيَّة عن عبد الله بن عمرو به.

قلت: وهذا سنده صحيح.

فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: في هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ أُنَاساً مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ العَمَلِيِّ، يُنَافِقُونَ مِنْ أَجْلِ مَصَالِحِهِمْ الدُّنْيَوِيَّةِ بِاسْمِ الدِّينِ وَبِاسْمِ قِرَاءَةِ القُرآنِ، وَالعِيَاذُ باللهِ.

قَالَ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَهُوَ يَشْرَحُ الحَدِيثَ: (أَي الَّذِينَ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ، وَيَضَعُونَهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ، أَوْ يَحْفَظُونَ القُرْآنَ تَقِيَّةً للتُّهْمَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ مُعْتَقِدُونَ خِلَافَهُ)[1]. اهـ.

وَقَدْ قَسَّمَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ النِّفَاقَ إِلَى قِسْمَيْنِ:

١ ـ نِفَاقُ قَلْبٍ.

٢ ـ نِفَاقُ عَمَلٍ.

فَنِفَاقُ القَلْبِ هُوَ نِفَاقُ التَّكْذِيبِ الَّذِي يَتَّصِلُ بالمُعْتَقَدِ. وَأَمَّا نِفَاقُ العَمَلِ فَهُوَ مَعْصِيةٌ كَسَائِرِ المَعَاصِي، وَخُلُقٌ مُشِينٌ يَتصِفُ بِهِ المُنَافِقُونَ.

وَهَذا هُوَ النِّفَاقُ الَّذِي كَانَ يَخَافُهُ السَّلَفُ عَلَى نُفُوسِهِمْ، فَإِنَّ صَاحِبَهُ قَدْ يَكُونُ فِيهِ شُعْبَةُ نِفَاقٍ[2].

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: **(النِّفَاقُ نِفَاقَانِ: نِفَاقٌ بالتَّكْذِيبِ، وَنِفَاقٌ بالعَمَلِ)**[3].

---

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (ج٢ ص٨٠)، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٢) انظر: «الإيمان» لابن تيمية (ص٤٠٩)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثالثة.

(٣) **أثر صحيح.**

أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (ج١ ص٦٩٩)، ط. دار الراية، الرياض، ط. الأولى، من طريق أحمد بن أبي سريج قال: أنا يزيد بن هارون قال: أنا أبو الأشهب عن الحسن به.

قلت: وهذا سنده صحيح.

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (والنِّفَاقُ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُظْهِرَ صَاحِبُهُ الإِيمَانَ، وَهُوَ مُسِرٌّ للكُفْرِ كالمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، والثَّانِي: تَرْكُ المُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِ الدِّينِ سِراً، وَمُرَاعَاتُها عَلَناً فَهَذَا يُسَمَّى مُنَافِقاً، وَلَكِنَّهُ نِفَاقٌ دُونَ نِفَاقٍ)[1]. اهـ[2].

وَقَالَ الكَلَابَاذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا نِفَاقُ العَمَلِ[3] لا نِفَاقُ الاعْتِقَادِ[4]، وَذَلِكَ أَنَّ المُنَافِقَ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ شَيْئاً وَأَضْمَرَ خِلَافَهُ... وَالقَارِئُ أَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ اللهَ بِعَمَلِهِ وَوَجْهِهِ لَا غَيْرَ، وَأَضْمَرَ حَظَّ نَفْسِهِ وَهُوَ الثَّوَابُ، وَيَرَىٰ نَفْسَهُ أَهْلاً لِذَلِكَ، وَيَنْظُرُ بِعَمَلِهِ بِعَيْنِ الإِجْلَالِ، فَلأَنْ كَانَ بَاطِنُهُ خِلَافَ ظَاهِرِهِ صَارَ مُنَافِقاً، إِذِ المُنَافِقُ بِإِيمَانِهِ قَصَدَ حَظَّ نَفْسِهِ، وَالقَارِئُ

---

(١) قوله: «نفاق دون نفاق»، فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان لكن إذا استحكم وكمل، فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، اللهم غفراً.
لأن منهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها إلا إذا أخلص في الدين، فإما أن يصير مؤمناً، وإما أن يصير منافقاً، والله المستعان.
والمراد بإطلاق النفاق: الإنذار، والتخويف عن ارتكاب هذه الخصال الخبيثة.

(٢) «شرح السنة» (ج١ ص٦)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى.

(٣) والنفاق العملي: هو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صار بسببه منافقاً خالصاً، كما جاء في الحديث السابق.

(٤) والنفاق الاعتقادي: هو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام، ويبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، والعياذ بالله.
انظر: «عقيدة التوحيد» للشيخ صالح الفوزان (ص١٠٦)، ط. دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى.

بَعَملِهِ قَصَدَ حَظَّ نَفْسِهِ فَاسْتَوَيَا فِي القَصْدِ، وَمُخَالَفَةُ البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ فَاسْتَوَيَا فِي الإِثْمِ لاسْتِوَائِهِمَا فِي القَصْدِ وَالصِّفَةِ)[1]. اهـ.

وَقَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ فُوزَانِ الفُوزَانِ حَفِظَهُ اللهُ: (إِنَّ وجُودَ المُثَقَّفِينَ وَالخُطَبَاءِ المُتحمَسِينَ لَا يُعَوضُ الأُمَّةَ عَنْ عُلَمَائِهَا... وَهَؤُلَاءِ قُرَّاءٌ وَلَيْسُوا فُقَهَاء، فإطْلَاقُ لَفْظِ العُلَمَاءِ عَلَى هَؤُلَاءِ إِطْلَاقٌ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، والعِبْرَةُ بالحَقَائِقِ لَا بالأَلْقَابِ، فَكَثِيرٌ مَنْ يُجِيدُ الكَلَامَ ويَسْتَمِيلُ العَوَامَّ وَهُوَ غَيْرُ فَقِيهٍ)[2]. اهـ.

وَقَالَ السَّرِيُّ بْنُ المُغَلِّس رَحِمَهُ اللهُ: **(إِنَّمَا أَذْهَبَ أَكْثَرَ أَعْمَالِ القُرَّاءِ العُجْبُ، وَخَفِيُّ الرِّيَاءِ)**[3].

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ: **(إِنَّ أَقْبَحَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا أَنْ تُطْلَبَ بِعَمَلِ الآخِرَةِ)**[4].

---

(١) «معاني الأخبار» (ص٥٥)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.

(٢) «وجوب التثبت في الأخبار واحترام العلماء» (ص٥٠)، ط. دار إمام الدعوة، الرياض، ط. الأولى.

(٣) **أثر صحيح.**
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج١٢ ص٢٦٣)، ط. الدار السلفية، الهند، ط. الأولى من طريق جعفر بن محمد حدثني الجنيد بن محمد قال: سمعت السّري بن المغلس به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

(٤) **أثر صحيح.**
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج١٢ ص٢٦٨)، ط. الدار السلفية، الهند، ط. الأولى وأبو نعيم في «الحلية» (ج٧ ص٥٤)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الرابعة. من طريقين عن سفيان به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

أي الَّذِي يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ.

وَقَالَ الجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ السَّرِيَّ بْنَ المُغَلِّسِ يَذُمُّ مَنْ يَأْكُلُ بِدِينِهِ وَيَقُولُ: (**مِنَ النَّذَالَةِ أَنْ يَأْكُلَ العَبْدُ بِدِينِهِ**)[1].

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ **عَنْ هَؤُلَاءِ**: (. . . وَمِنْ أَعْظَمِ مَا حَرَّكَهُ عَلَيْهِ طَلَبُ غَرَضِهِ، إِمَّا وِلَايَةٌ، وَإِمَّا مَالٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾، وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ... وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَاماً لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، إِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ مَنَعَهُ سَخِطَ**»[2].اهـ.

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: (فَعَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَنَقُرَّ بِالحَقِّ كُلِّهِ، وَلَا يَكُونُ لَنَا هَوًى، وَلَا نَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، بَلْ نَسْلُكُ سُبُلَ العِلْمِ وَالعَدْلِ، وَذَلِكَ هُوَ اتِّبَاعُ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فَأَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ بِبَعْضِ الحَقِّ دُونَ بَعْضٍ فَهَذَا مَنْشَأُ الفُرْقَةِ والاخْتِلَافِ)[3].اهـ.

وَهَؤُلَاءِ أَظْهَرُوا النِّفَاقَ أَمَامَ النَّاسِ، وَأَسَرُّوهُ أَمَامَ الحُكَّامِ فَهُمْ شَرٌّ مِمَّنْ قَبْلَهُمْ.

---

(١) **أثر صحيح.**
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج١٢ ص٢٦٦)، ط. الدار السلفية، الهند، ط. الأولى، من طريق جعفر بن محمد حدثني الجنيد بن محمد قال: سمعت السري بن المغلس به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (ج٤ ص٥٢٧)، ط. مؤسسة قرطبة، ط. الأولى.

(٣) «مجموع الفتاوى» (ج٤ ص٤٥٠)، ط. مكتبة ابن تيمية، مصر.

وَإِلَيْكَ الدَّلِيل:

١ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ ﷺ قَالَ: (الْمُنَافِقُونَ الْيَوْمَ أَشَرُّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانُوا إِذْ ذَاكَ يَكْتُمُونَهُ، وَهُمُ الْيَوْمَ لَا يَكْتُمُونَهُ)[1].

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: (وَهُمُ الْيَوْمَ يُظْهِرُونَهُ).

٢ ـ وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَان ﷺ قَالَ: (الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِيكُمُ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لأَنَّ أُولَئِكَ أَسَرُّوهُ، وَهَؤُلَاءِ أَعْلَنُوهُ)[2].

٣ ـ وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ ﷺ: وَقِيلَ لَهُ: (الْمُنَافِقُونَ الْيَوْمَ أَكْثَرُ أَمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: بَلْ هُمُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ، لأَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ يُسْتَسَرُّ بِهِ، وَالْيَوْمَ يُسْتَعْلَنُ بِهِ)[3].

---

(١) **أثر صحيح.**
أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (ج١٥ ص١٠٩)، ط. إدارة القرآن، باكستان، والفريابي في «صفة النفاق» (ص٥٦)، ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط. الأولى وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص١٣٦)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى من طريق شعبة عن سليمان الأعمش قال: سمعت أبا وائل يحدث عن حذيفة به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) **أثر صحيح.**
أخرجه أبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص١٣٦)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، والخطيب في «الموضِّح» (ج٢ ص٥٠٤)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (ج٢ ص٦٩١)، ط. دار الراية، الرياض، ط. الأولى. من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال: قال حذيفة به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج١٣ ص٦٩)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، =

وَهَؤُلَاءِ حَاوَلُوا أَنْ يُبَرِّرُوا مَوَاقِفَهُمْ هَذِهِ بِأَقْنِعَةٍ مَاكِرَةٍ وَالغَيرَة عَلَى الدِّينِ، والحِرْص عَلَى الغَايَةِ الإِصْلَاحِيّةِ وَدَعَاوَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَوْلُهُ: إِنَّ المُنَافِقِينَ اليَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسِرُّونَ قَوْلَهُمْ فَلَا يَتَعَدَّى شَرُّهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَإِنَّهُمْ يَجْهَرُونَ بالنِّفَاقِ وَيُعْلِنُونَ بِالخُرُوجِ عَلَى الجَمَاعَةِ، وَيُورِثُونَ بَيْنَهُمْ، وَيُحَزِّبُونَهُمْ أَحْزَاباً، فَهُم اليَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ حِينَ لَا يَضِرُّونَ بِمَا يَسرُّونَهُ)[1].اهـ.

وَلَقَدِ ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ مُنْذُ بَكُورَةِ الدَّعْوَةِ بِهَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ حَتَّى كَشَفَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الكَرِيمِ، وَفَضَحَ مَوَاقِفَهُمْ، وَنَبَّهَ عَلَى خَطَرِهِمْ، وَهَتَكَ سِتْرَهُمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: (فَوَصَفَهُمْ بِحَسَنِ الأَجْسَامِ وَتَمَامِهَا، وَحُسْنِ المَقَامِ وَالفَصَاحَةِ حَتَّى وَإِعْجَابٍ بِهِ، وَمَعَ هَذَا فَبَوَاطِنُهُمْ خَرَابٌ وَمَعَائِنُهُمْ فَارِغَةٌ.

= الرياض. وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص١٣٧)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، والنسائي في «السنن الكبرى» (ج٦ ص٤٩١)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى من طريق مالك بن مِغْوَل عن واصل الأحدب عن أبي وائل عن حذيفة به.

(١) «شرح صحيح البخاري» (ج١٠ ص٥٧)، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى.

فَلِهَذَا مَثَّلَهُمْ بالخُشُب المُسَنَّدَةِ الَّتي لَا رُوحَ لَهَا، وَلَا إِحْسَاسَ، وَقُلُوبُهُمْ مَعَ هَذَا ضَعِيفَةٌ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ)[1].اهـ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَكَذَا كُلُّ مُرِيبٍ يُظْهِرُ خِلَافَ مَا يُضْمِرُ يَخَافُ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ، وَيَتَحَسَّرُ عَلَيْهِ)[2].اهـ.

فَالمُنَافِقُ قَلْبُهُ ضَعِيفٌ تَتَلَاعَبُ بِهِ الأَهْوَاءُ المُضِلَّةُ فَتَقْلِبُهُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [المنافقون: ٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التوبة: ٥٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ

---

(١) «تفسير ابن رجب الحنبلي» (ج٢ ص٤٧٣)، ط. دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى.

(٢) «تفسير ابن رجب الحنبلي» (ج٢ ص٤٧٣)، ط. دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى.

غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۚ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨١، ٨٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: ٧٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٣ ـ ١٦].

قَالَ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ هتَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَسْتَارَ المُنَافِقِينَ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ فِي القُرآنِ، وَجَلَّى لِعِبَادِهِ أُمُورَهُمْ لِيَكُونُوا مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا عَلَى حَذَرٍ... لِكِثْرَتِهِمْ وَعُمُومِ الإِبْتِلَاءِ بِهِمْ، وَشِدَّةِ فِتْنَتِهِمْ عَلَى الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

فَإِنَّ بَلِيَّةَ الإِسْلَامِ بِهِمْ شَدِيدَةٌ جِداً، لأَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَيْهِ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَمُوَالَاتِه، وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ فِي الحَقِيقَةِ يُخرِجُونَ عَدَاوَتَهُ فِي كُلِّ قَالَبٍ يَظُنُّ الجَاهِلُ أَنَّهُ عِلْمٌ وَإِصْلَاحٌ وَهُوَ غَايَةُ الجَهْلِ وَالإِفْسَادِ...

فَلَا يَزَالُ الإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُهُ مِنْ شُبههم سَرِيَّةٌ بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ مُصْلِحُونَ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢]...

لَبَسُوا ثِيَابَ أَهْلِ الإِيمَانِ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالخُسْرَانِ... فَأَلْسِنَتُهُمْ أَلسِنَةُ المُسَالِمِينَ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبِ المُحَارِبِينَ... رَأْسُ مَالِهِمْ الخَدِيعَةُ وَالمَكْرُ، وَبِضَاعَتُهُم الكَذِبُ والخَتْرُ[1]...

قد نَهَكَتْ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ قُلُوبَهُمْ فَأَهْلَكَتْهَا، وَغَلَبَتِ القُصُودُ السَّيِّئَةُ عَلَى إِرَادَتِهِم وَنِيَّاتِهِمْ فَأَفْسَدَتْهَا...

المُتَمَسِّكُ عِنْدَهُم بالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ صَاحِبُ ظَوَاهِرٍ، مَبْخوسٌ حَظَّهُ مِنَ المَعْقُولِ... وَأَهْل الاتِّبَاعِ عِنْدَهُم سُفَهَاء...

قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اسْتِهْزَاء بِأَهْلِهِمَا واسْتِحْقَاراً، وَأَبَوا أَنْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِ الوَحْيَيْنِ فَرَحاً بِمَا عِنْدَهُم مِنَ العِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ الاسْتِكْثَارُ مِنْهُ إِلَّا أَثَراً واسْتِكْبَاراً...

أَسْمَاعُ قُلُوبِهِمْ قَدْ أَثْقَلَها الوَقَرُ، فَهِيَ لَا تَسْمَعُ مُنَادِيَ الإِيمَانِ، وَعُيُون بَصَائِرِهِم عَلَيْهَا غَشَاوَةُ العَمَىٰ، فَهِيَ لَا تُبْصِرُ حَقَائِقَ القُرْآنِ،

---

(١) الخَتْرُ: هو الغَدْرُ والخَدِيعَةُ.
انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٤٨٩)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية.

وَأَلْسِنَتُهم بِهَا خَرَسٌ عَنِ الحَقِّ، فَهُم بِهِ لَا يَنْطِقُونَ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨].

يُعْجِبُ السَّامِعَ قَوْلُ أَحَدِهِم لِحَلَاوَتِهِ وَلِينِهِ، وَيَشْهَدُ اللهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ كَذِبِهِ وَمَيْنِهِ فَتَراهُ عِنْدَ الحَقِّ نَائِماً، وَفِي البَاطِلِ عَلَى الأَقْدَامِ...

أَوَامِرَهُمُ الَّتي يَأْمُرُونَ بِهَا أَتْبَاعَهُمْ مُتَضَمِّنَةٌ لِفَسَادِ البِلَادِ وَالعِبَادِ، وَنَوَاهِيهِم عَمّا فِيهِ صَلَاحُهُم فِي المَعَاشِ وَالمَعَادِ... وَأَحَدُهُم تَلْقَاهُ بَيْنَ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالزُّهْدِ وَالاجْتِهَادِ ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فَهُمْ جِنْسٌ بَعْضِهِ يُشْبِهُ بَعْضاً، يَأْمُرُونَ بالمُنْكَرِ بَعْدَ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ بَعْدَ أَنْ يَتْرُكُوهُ...

إِنْ حَاكَمْتَهُمْ إِلَى صَرِيحِ الوَحْيِ وَجَدْتَهُمْ عَنْهُ نَافِرِينَ، وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ إِلَى حُكْمِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ رَأَيْتَهُمْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ... تَبّاً لَهُمْ مَا أَبْعَدَهُمْ عَنْ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ! وَمَا أَكْذَبَ دَعْوَاهُمْ للتَّحْقِيقِ وَالعِرْفَانِ! فَالقَوْمُ فِي شَأْنٍ وَأَتْبَاعُ الرَّسُولِ فِي شَأْنٍ... يَحْلِفُونَ لِيَحْسِبَ السَّامِعُ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ قَدِ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [المنافقون: ٢].

فَمَا أَكْثَرَهُمْ وَهُم الأَقَلُّونَ، وَمَا أَجْبَرَهُمْ وَهُمْ الأَذَلُّونَ، وَمَا أَجْهَلَهُم وَهُم المُتَعَالِمُونَ...

فَهَذِهِ ـ والله ـ أَمَارَاتُ النِّفَاقِ، فَاحْذَرْهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِكَ القَاضِيَةُ.

إِذَا عَاهَدُوا لَمْ يَفُوا، وَإِنْ وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِنْ قَالُوا لَمْ يُنْصِفُوا،

وَإِنْ دُعُوا إِلَى الطَّاعَةِ وَقَفُوا، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ صَدَفُوا، وَإِذَا دَعَتْهُم أَهْوَاؤُهُم إِلَى أَغْرَاضِهِم أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَانْصَرَفُوا، فَذَرْهُمْ وَمَا اخْتَارُوا لأَنْفُسِهِم مِنَ الهَوَانِ وَالخِزي وَالخُسْرَانِ فَلَا تَثِقْ بِعُهُودِهِمْ، وَلَا تَطْمَئِنَّ إِلَى وعُودِهِم، فَإِنَّهُم فِيهَا كَاذِبُونَ. . .)[1]. اهـ.

قُلْتُ: وَإِلَى جَانِبِ النُّصُوصِ القُرآنِيَةِ نَجِدُ أَنّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَّرَ مِنَ النِّفَاقِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، وَبَيَّنَ للمُؤْمِنِينَ أَهَمَّ صِفَاتِهِمْ لِيَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْهُم، وَلِتَكُونَ لَدَيْهِم عَلَامَاتُ المُنَافِقِينَ وَاضِحَةً وَأَهَمُّها: الكَذِبُ في الحَدِيثِ، والغَدْرُ حِينَ العَهْدِ، والإِخْلَافُ بالوَعْدِ، والفُجُورُ فِي الخُصُومَةِ، والخِيَانَةُ للأَمَانَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَإِلَيْكَ الدَّلِيل:

١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَلّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ»**[2].

وَالحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الإِنْسَانَ فِيهِ شَدِيدُ الشَّبَهِ بالمُنَافِقِينَ ـ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ـ بِسَبَبِ هَذِهِ الخِصَالِ النِّفَاقِيَّةِ، وَالعِيَاذُ بِالله.

٢ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَرْبَعُ**

---

(١) «صفات المنافقين» (ص٤ و٣١)، ط. دار القاسم، الرياض، ط. الأولى.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج٥ ص٢٨٩)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ومسلم في «صحيحه» (ج١ ص٧٨)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى، والفريابي في «صفة النفاق» (ص٥٦)، ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص٦٩)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، من عدة طرق عن أبي هريرة به.

خِلَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»[1].

قَالَ النَّوَوِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلُهُ: «كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً»، مَعْنَاهُ: شَدِيدَ الشَّبَهِ بالمُنَافِقِينَ بِسَبَبِ هَذِهِ الخِصَالِ، قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: وَهَذَا فِيمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الخِصَالُ فِيهِ غَالِبَةً، فَأَمَّا مَنْ يَنْدُرُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَيْسَ دَاخِلاً فِيهِ، فَهَذَا هُوَ المُخْتَارُ فِي مَعْنَى الحَدِيثِ)[2]. اهـ.

وَهَذَا فِيه التَّرْهِيبُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ - وَإِنْ كَانُوا مِنَ المُسْلِمِينَ - الَّذِينَ يَأْتُونَ الأُمَرَاءَ بِوَجْهٍ، وَيَخْرُجُونَ مِنْهُم بِوَجْهٍ آخَرَ، اللَّهُمَّ سَلِّم سلِّم.

فَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ اسْتَخَفُّوا بالاحْتِرَازِ مِنَ النِّفَاقِ، واسْتَهَانُوا بأَنْ عُرِّفُوا بأَخْلَاقِ المُنَافِقِينَ، واسْتَحْسَنُوهَا، واسْتَجَازُوا المُدَاهَنَةَ وَتَأَلَّفُوهَا، وَالمُرَاوَغَةَ وَالمُخَادَعَةَ وَاعْتَقَدُوهَا، اللَّهُمَّ غُفْراً[3].

وَلِذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ وَقَدْ خَاصَمُوا الحُكَّامَ أَوْ غَيْرَهُمْ فَجَرُوا وَأَعْلَنُوا الحَرْبَ عَلَيْهِمْ وَحَرَّضُوا النَّاسَ عَلَيْهِم فَوْقَ المَنَابِرَ وَغَيْرِها فِي البِلَادِ فَوَقَعَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ج١ ص٧٨)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت. وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص٨٠)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، من طريق عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (ج١ ص٣٢٤)، ط. دار الفكر، بيروت.

(٣) انظر: «صفة النفاق ونعت المنافقين» لأبي نعيم (ص٣١)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى.

ولذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ يَخَافُونَ النِّفَاقَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، بَلْ يَجْعَلُونَ المُخَالَفَاتِ الصَّغِيرَةَ مِنَ المُوبِقَاتِ فِي عَهْدِهِمْ بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ.

وَإِلَيْكَ الدَّلِيلِ:

عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: **(أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ شَهِدُوا بَدْراً، كلُّهم يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ)**[1].

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: **(إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا مِنَ المُوبِقَاتِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)**[2].

قَالَ ابْنُ الوَزِيرِ رحمه الله: (فَمَنْ كَانَ ضَعِيفَ الرِّيَاضَةِ لِنَفْسِهِ لَمْ يَتَيَقَّظْ لِخَفِيَّاتِ مَدَاخَلِ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ فِي ذَلِكَ، فَرُبَّما حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يُشْعِرُ.

وَقَدْ خَوَّفَ اللهُ المُؤْمِنِينَ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُهُم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فِي أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَظْهَرُ... فَكَيْفَ لَا يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ الفِتْنَةَ مَنْ عَرَفَ مِنْهَا الوُقُوعَ فِي المُهْلِكَاتِ عِنْدَ الخِلْطَةِ، أَوْ خَافَ ذَلِكَ وَجَرَّبَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ؟!.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُخَافُ عَلَى مُخَالِطِ السُّلْطَانِ أَنْ يَخَافَهُ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِ اللهِ، أَوْ يَرْجُوَهُ أَكْثَرَ مِنْ رَجَاءِ اللهِ، أَوْ يَذْكُرَهُ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ يَشْكُرَهُ أَوْ يُحِبَّهُ كَذَلِكَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَلَوْ فِي بَعْضِ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» تعليقاً (ج١ ص٢٦)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. وابن حجر في «تغليق التعليق» (ج٢ ص٥٢)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، والخلال في «السنة» (ج٣ ص٦٠٧)، ط. دار الرابعة، الرياض، ط. الأولى. وحرب الكرماني في «المسائل» (ص٣٧٥)، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج١١ ص٣٢٩)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، وأحمد في «المسند» (ج٣ ص١٥٧)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت.

الأَوْقَاتِ، والغَفَلَاتِ، فَيَلْحَقَهُ بذَلِكَ عِقَابُ اللهِ وَسَخَطُهُ، وَسَلْبُ تَوْفِيقِهِ. . .)[1]. اهـ.

وَقَالَ ابْنُ الوَزِيرِ رَحِمَهُ اللهُ: (والخَلَاصُ مِنَ الذُّنُوبِ بِصَلَاحِ القُلُوبِ والإِخْلَاصِ، وَإِنَّمَا الفِرَارُ وَسِيلَةٌ إِلَى ذَلِكَ، وَعَوْنٌ عَلَيْهِ، وَفِطَامٌ للنَّفْسِ الخَبِيثَةِ مِنَ العَادَاتِ المُسْتَحْكِمَةِ المُسْتَقِرَّةِ. . .)[2]. اهـ.

وَقَالَ ابْنُ الوَزِيرِ رَحِمَهُ اللهُ: (وَلْيَحْذَرِ العَاقِلُ مِنْ ثِقَتِهِ بِعَقْلِهِ وحِلْمِهِ، فإنَّ عِصْمَةَ آدَمَ مَعَ قُرْبِهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَتَقَدُّمَ تَحْذِيرِ اللهِ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ مَا حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، ولذَلِكَ شُرِعَتِ الاسْتِعاذَةُ باللهِ مِنْهُ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا نَجَاةَ للعَبْدِ إِلَّا بالاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ، ولذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥])[3]. اهـ.

وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسِدَتْ فَسِدَ الجَسَدُ كُلُّه، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»**[4].

---

(١) «الأمر بالعزلة في آخر الزمان» (ص١٠٧)، ط. المكتبة الإسلامية، الأردن، ط. الأولى.

(٢) «المصدر السابق» (ص١١٠).

(٣) «المصدر السابق» (ص١١٥).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج١ ص٢٨)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، =

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالمَعْنَىٰ أَنَّ الحَلَالَ حَيْثُ يَخْشَىٰ أَنْ يُؤَوَّلَ فِعْلُهُ مُطْلَقاً إِلَى مَكْرُوهٍ أَوْ مُحَرَّمٍ يَنْبَغِي اجْتِنَابُهُ...)[1].اهـ.

قُلْتُ: وَيُسْتَدَلُّ بِهَذَا الحَدِيثِ عَلَى سَدِّ الذَّرَائِعِ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ، وَتَحْرِيمِ الوَسَائِلِ إِلَيْهَا.

فَبَانَ لَكَ مِمّا نَقَلْتُهُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ وَأَقْوَالِ أَهْلِ العِلْمِ ذَمُّ الّذِينَ يَدْخُلُونَ عَلَى الحُكّامِ بِوَجْهٍ، وَيَخْرُجُونَ مِنْهُمْ بِوَجْهٍ آخَرَ، اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم.

= الرياض. ومسلم في «صحيحه» (ج٣ ص١٢١٩)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى. وأبو داود في «سننه» (ج٣ ص٢٤٣)، ط. دار الحديث، بيروت، ط. الأولى. والترمذي في «سننه» (ج٣ ص٥٠٢)، ط. مصطفى البابي، مصر، ط. الثانية، من عدة طرق عن الشعبي عن النعمان بن بشير به.

(١) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (ج١ ص١٢٧)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

obeikandl.com